واغاما رادف النصر لاعانة ومرادف التأييد التقوية فتدبر ثم ان ماذكر من التفسير هو المشهور من
معنى الحمد واللائق بالارادة في مقام التعظيم واما ماذكر في كتب اللغة من معنى الرضى مطلقا كما في قوله
تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا وفي قولهم لهذا الامر عاقبة حميدة وفي قول الاطباء بحران محمود مما لا
يختص بالفاعل فضلا عن الاختيار فبمعزل من استحقاق الارادة ههنا استقلالا او استتباعا بحمل الحمد
على مايعم المعنيين اذ ليس في اثباته له عز وجل فائدة يعتد بها • واما الشكر في مقابلة النعمة بالثناء وآداب
الجوارح وعقد القلب على وصف المنعم بنعت الكمال • كما قال من قال • افادتكم النعماء مني ثلثة • يدي
ولساني والضمير المحجبا • فاذن هو اعم منهما من جهة واخص من اخرى ونقيضه الكفران ولما كان الحمد
من شعب الشكر ادخل في اشاعة النعمة والاعتداد بشانها وادل على مكانها لما في عمل القلب من الخفاء وفي
اعمال الجوارح من الاحتمال جعل الحمد رأس الشكر وملاكا لامر في قوله صلى الله تعالى عليه وسلم الحمد رأس الشكر
ما شكر الله عبد لم يحمده وارتفاعه بالابتداء وخبره الظرف واصله النصب كما هو شان المصادر المنصوبة
بافعالها المضمرة التي لا تكاد تستعمل معها نحو شكرا وعجبا كانه قيل نحمد الله حمدا بنون الحكاية ليوافق ما في قوله
تعالى اياك نعبد واياك نستعين لاتحاد الفاعل في الكل واما ما قيل من انه بيان لحمدهم له تعالى كانه قيل كيف تحمدون
فقيل اياك نعبد فمع انه لا حاجة اليه مما لا صحة له في نفسه فان السؤال المقدر لابد ان يكون بحيث
يقتضيه انتظام الكلام • وينساق اليه الاذهان والافهام • ولا ريب في ان الحامد بعد ما ساق حمده تعالى
على تلك الكيفية اللائقة لا يخطر بباله احد ان يسأل عن كيفيته على ان ما قدر من السؤال غير مطابق
للجواب فانه مسوق لتعيين المعبود لا لبيان العبادة حتى يتوهم كونه بيانا للحمد ثم والاعتذار بان المعنى
نخصك بالعبادة وبه يتبين كيفية الحمد تعسف لا يخفى وبعد اللتيا والتي ان
فرض السؤال من جهته عز وجل فاتت نكتة الالتفات التي اجمع عليها السلف والخلف وان فرض من جهة
الغير يختل النظام لابتناء الجواب على خطابه تعالى وبهذا يتضح فساد ما قيل انه استيناف جوابا لسؤال
يقتضيه اجراء تلك الصفات العظام على الموصوف بها فكانه قيل ما شانكم معه وكيف توجهكم اليه
فاجيب بحصر العبادة والاستعانة فيه فان تناسي جانب السائل بالكلية وبناء الجواب على خطابه عز
وعلا مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله وهو الحق الذي لا محيد عنه انه استيناف صدر
عن الحامد بمحض ملاحظة اتصافه تعالى بما ذكر من النعوت الجليلة الموجبة للاقبال الكلي عليه من غير ان
يتوسط هناك شيء اخر كما ستحيط به خبرا وايثار الرفع على النصب الذي هو الاصل للايذان
بان ثبوت الحمد له تعالى لذاته لا لاثبات مثبت وان ذلك امر دائم مستمر لا حادث متجدد كما تفيده قراءة
النصب وهو السر في كون تحية الخليل عليه الصلاة والسلام احسن من تحيتهم له في قوله تعالى قالوا
سلاما قال سلام وتعريفه للجنس ومعناه الاشارة الى الحقيقة من حيث هي حاضرة في ذهن السامع والمراد

تخصيص

تخصيص حقيقة الحمد به تعالى المستدعي لتخصيص جميع افرادها به سبحانه على الطريق البرهاني لكن لا بناء على
ان افعال العباد مخلوقة له تعالى فيكون الافراد الواقعة مما صدر عنهم من الافعال الجميلة راجعة اليه تعالى
بل بناء على تنزيل تلك الافراد ودواعيها في مقام الخطابي منزلة العدم كمًّا وكيفًا وقد قيل الاستغراق
الحاصل بالقصد الى الحقيقة من حيث تحققها في ضمن جميع افرادها حسبما يقتضيه المقام • وقرئ
الحمد لله بكسر الدال اتباعا لها باللام • وبضم اللام اتباعا لها بالدال بناء على تنزيل الكلمتين لكثرة
استعمالهما مقترنتين منزلة كلمة واحدة مثل المغيرة ومنحدر الجبل رب العالمين بالجر على انه صفة
لله فان اضافته حقيقية مفيدة للتعريف على كل حال ضرورة تعين ارادة الاستمرار وقرئ منصوبا
على المدح او بما دل عليه الجملة السابقة كانه قيل نحمد الله رب العالمين ولا مساغ لنصبه بالحمد
لقلة اعمال المصدر المحلى باللام وللزوم الفصل بين العامل والمعمول بالخبر والرب في الاصل مصدر بمعنى
التربية وهو تبليغ الشيء الى كماله شيئا فشيئا وصف به الفاعل مبالغة كالعدل وقيل صفة مشبهة من
ربه يربه مثل نمّه ينمه بعد جعله لازما بنقله الى فعل بالضم كما هو المشهور سمي به المالك لانه يحفظ ما يملكه
ويربيه ولا يطلق على غيره تعالى الا مقيدا كرب الدار ورب الدابة ومنه قوله تعالى فيسقي ربه خمرا وقوله تعالى ارجع
الى ربك وما في الصحيحين من انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا يقل احدكم اطعم ربك وضئ ربك ولا يقل احدكم ربي وليقل
سيدي ومولاي فقد قيل ان النهي فيه للتنزيه واما الارباب فحيث لم يمكن اطلاقه على الله سبحانه جاز في اطلاقه الاطلاق
والتقييد كما في قوله تعالى ارباب متفرقون خير الاية والعالم اسم لما يعلم به كالخاتم والقالب غلب فيما يعلم به الصانع
تعالى من المصنوعات اي في القدر المشترك بين اجناسها وبين مجموعها فانه كما يطلق على كل جنس جنس منها
في قولهم عالم الافلاك وعالم العناصر وعالم النبات وعالم الحيوان الى غير ذلك يطلق على المجموع ايضا كما
في قولنا العالم بجميع اجزائه محدث وقيل هو اسم لاولي العلم من الملائكة والثقلين وتناوله لما سواهم بطريق
الاستتباع وقيل اريد به الناس فقط فان كل واحد منهم من حيث اشتماله على نظائر ما في العالم الكبير
من الجواهر والاعراض كما يعلم بما فيه عالم للبيان شمول ربوبيته تعالى لجميع الاجناس والتعريف لاستغراق
افراد كل منها باسرها اذ لو افرد لربما توهم ان المقصود بالتعريف هو الحقيقة من حيث هي او استغراق جنس واحد
على الوجه الذي اشير اليه في تعريف الحمد وحيث صح ذلك بمساعدة التعريف نزل العالم وان لم يطلق على
احاد مدلوله منزلة الجمع حتى قيل انه جمع لا واحد له من لفظه فكما ان الجمع المعرف يستغرق احاد مفرده وان
لم يصدق عليها كما في مثل قوله تعالى والله يحب المحسنين اي كل محسن كذلك العالم يشمل افراد الجنس المسمى
به وان لم يطلق عليها كانها احاد مفرده التقديري ومن قضية هذا التنزيل تنزيل جمعه منزلة جمع الجمع
فكما ان الاقاويل يتناول كل واحد من احاد الاقوال يتناول لفظ العالمين كل واحد من احاد الاجناس التي لا تكاد
تحصى روي عن وهب بن منبه انه قال لله تعالى ثمانية عشر الف عالم والدنيا عالم منها وانما جمع بالواو والنون

Copyright © King Saud University